الاهم ـ الى خسائر داخلية مستمرة، ليست مادية وحسب، بل تجاوزت ذلك الى النواحي المعنوية. فقد ادى انتشار المواجهات في الارض المحتلة وداخل اسرائيل الى فقدان الاسرائيليين جميعاً، وليس المستوطنون وحدهم، الشعور بالأمن والأمان، اللذين يمثّلان الضرورة التي برّرت استمرار الاحتلال. ومع استمرار الانتفاضة وتغيّر انماط مواجهتها وفشل مختلف أساليب القضاء عليها وانهائها، بدأت الاولويات الاسرائيلية في التحول تدريجياً. وقد أظهرت نتائج الانتخابات الاسرائيلية قناعة الاغلبية بأن تحقيق وضعية «اسرائيل ـ الكبرى»، وضمان الأمن معاً ليست سوى حلمٍ بعيد المنال. فاختارت رابين لكي يتخذ قرارات بهذا الاتجاه، ويحقق لها ما تصبو اليه.

لقد خاض رابين معركته الانتخابية وقد مضى على المفاوضات بين الاطراف العربية واسرائيل أكثر من نصف عام، دون ان تحقق أي تقدّم ملموس. وظلت على الرغم من جولاتها الثنائية الخمس، تراوح في مكانها وتتعامل بالاجراءات والشكليات. وقد فهم رابين ان الناخبين اعطوه اصواتهم على أساس يعدهم بقلب الاولويات والتقدم في اتجاه الصراع وايجاد حل دائم للقضية الفلسطينية. لكن التصريحات التي أطلقها رابين، بعيد انتهاء الانتخابات، حول طبيعة الحكومة العريضة التي يستهدف تشكيلها تلقي ظلالاً على حقيقة نواياه المتعلقة بماهية التسوية السياسية التي يسعى اليها، وتعطي اشارات ينبغي عدم اغفالها.

وباستقراء دوافع رابين وراء تشكيل حكومة عريضة يمكن تحديد عاملين أساسيين: الاول حزبي، ويتلخّص بأن رابين اراد بعد فوز حزب العمل، الذي بات يتزعمه، اعطاءه سمة «حزب الدولة»، وتمكينه من العودة الى السيطرة على الحياة السياسية في اسرائيل، كما كان عليه الحال حتى العام ١٩٧٧. ولكي يحقق ذلك، سعى الى تغيير موقع العمل في خارطة الاتجاهات السياسية الاسرائيلية، وذلك من طريق ازالة الانطباع السائد بأنه حزب «يسار وسط»، وتعديل صورته أمام الناخب الاسرائيلي ليصبح «المجمّع» الرئيس للقوى السياسية في اسرائيل، والجامع المشترك الاعظم لأية حكومة اسرائيلية مستقبلاً. ولهذا سعى الى ضم احزاب من اليمين واليسار والمتديّنين.

أمّا العامل المحرّك الثاني فيتعلّق بمسيرة التسوية السياسية. فرابين لا يريد تراس حكومة عريضة ومستقرة تحقق «التوازن» الداخلي بين معسكري اليمين واليسار، كي يلغي امكانية تعرضه وحزبه لعملية «ابتزاز» مستمرة من قبل «ميرتس» والجبهة التقدمية للسلام والمساواة (حداش) والحزب الديمقراطي العربي. فتشكيل حكومة تعتمد في بقائها على المشاركة الفعلية لـ «ميرتس»، والسلبية للحزبين الآخرين، وهي الاحزاب التي تدعو الى حل الصراع من طريق الاعتراف بالحقوق الوطنية والشرعية للشعب الفلسطيني، والى الانسحاب من على الارض المحتلة واقامة دولة فلسطينية، تعتبر من وجهة نظر رابين «وصفة ضغط وتوريط دائمة» باتجاه تقديم تنازلات تفوق ما يريد بالفعل تقديمه للفلسطينيين تحديداً، وللعرب عموماً، على طاولة المفاوضات. فمثل هذه الحكومة الضيقة ستؤدي، بالنسبة لرابين، الى منح احزاب اليسار في اسرائيل وزناً سياسياً كبيراً ومؤثراً، وتعزز من مكانة «الحمائم» داخل حزب العمل، وترفع ميزان التوقّعات الخارجية بشأن شروط التسوية السياسية، وتخلق معارضة قوية وفعّالة داخل الكنيست وفي الشارع الاسرائيلي على السواء. أما انضمام أحزاب دينية الى الحكومة فسيؤدي لرابين غرضاً حيوياً يتمثّل بتحقيق موازنة داخلية، تمنع وقوعه «رهينة» بيد اليسار، وتلغي امكانية توريطه بما لا يريد تقديمه من تنازلات، وتمنحه مساحة واسعة للمناورة السياسية داخلياً وخارجياً. فعلى الصعيد الداخلي، سيتربع رابين على راس حكومة تضمّ، في جنباتها، المتناقضات من المواقف السياسية، ويكون باستطاعته، بسبب ذلك، ان يكون في موقع المسيطر على هذه التركيبة، و«الوسيط» الذي يمتصّ الحدّة من الجانبين من طريق التوفيق،